

المحور الثاني: أهمية التعبير الشفهي (من المنظور النفسي، من المنظور الوجداني، من المنظور التربوي، من المنظور المعرفي، من المنظور المنهجي، من المنظور الإبداعي)

تمهيد:

يُعتبر التعبير الشفهي من أقدم وأهم وسائل التواصل بين البشر، حيث يلعب دوراً أساسياً في نقل الأفكار والمشاعر من داخل النفس إلى الخارج، عبر كلمات منطوقة تحمل في طياتها المعاني والدلالات التي تُبنى عليها العلاقات الإنسانية، وتنتقل من خلالها المعارف والخبرات، فالتعبير الشفهي ليس مجرد إصدار أصوات أو كلمات عشوائية، بل هو فنّ يقوم على اختيار الألفاظ المناسبة، وترتيبها بطريقة تعكس أفكار المتكلم ومشاعره بدقة ووضوح، مما يتيح له المشاركة الفعالة في المجتمع، ويعزز حضوره الاجتماعي والثقافي.

وعلى الرغم من بساطته الظاهرة، فإن التعبير الشفهي يُعد مهارة معقدة ومركبة، لأنها تتطلب تفاعلاً وتنسيقاً بين عدة جوانب من شخصية الفرد، مثل القدرة على التفكير، والتحكم في اللغة، وتنظيم الأفكار، فضلاً عن الجوانب النفسية والانفعالية والاجتماعية التي تؤثر في طريقة التعبير، لهذا السبب، فإن التعبير الشفهي لا يقتصر دوره على نقل المعلومات فقط، بل يتعدى ذلك ليكون وسيلة حيوية في التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية، تساعد على تنمية قدرات الإنسان الفكرية، والانفعالية، والاتصالية.

في هذا الدرس، سوف نستعرض أهمية التعبير الشفهي من خلال ستة منظورات متكاملة، تُبرز جوانب مختلفة من هذه المهارة الحيوية، وهي: المنظور النفسي الذي يسلط الضوء على تأثير التعبير على الحالة النفسية للفرد، والمنظور الوجداني الذي يبيّن ارتباط التعبير بالمشاعر والعواطف، والمنظور التربوي الذي يُبرز دوره في العملية التعليمية، والمنظور المعرفي الذي يوضح كيف يعزز التعبير تكوين المعرفة، والمنظور المنهجي الذي يبرز أهميته في تطوير مهارات التواصل المنظم، وأخيراً المنظور الإبداعي الذي يُظهر دور التعبير الشفهي كأداة للابتكار والتجديد اللغوي.

أولاً: من المنظور النفسي

يُعتبر التعبير الشفهي من الركائز الأساسية للصحة النفسية للفرد، حيث يُعدّ القدرة على التعبير بالكلام عن الأفكار والمشاعر حاجة إنسانية فطرية وضرورية للنمو النفسي السليم، فالتواصل اللفظي يسمح للإنسان بفكّ الكبت الداخلي وتفريغ الضغوط النفسية، مما يساهم في تحقيق توازن نفسي عميق.

1. التنفيس الانفعالي وتقليل التوتر: تقول نظرية التحليل النفسي التي أسسها سيجموند فرويد إن التعبير عن المشاعر المكبوتة والكبت النفسي يعدّ خطوة حاسمة نحو التحرر من التوتر والقلق، فالقدرة على التعبير الشفهي تتيح للإنسان تفرغ هذه المشاعر بطرق صحية، فنُصبح أقل عبئاً على النفس، من جهة أخرى، تدعم نظرية التعبير الانفعالي (Catharsis Theory) فكرة أن الحديث عن المشاعر الصعبة، مثل الغضب أو الحزن، يخفف من شدتها، وهو ما يُمكن تحقيقه من خلال التعبير الشفهي المنظم.

2. تحقيق التوازن النفسي والدفاع عن الذات: يُعدّ التعبير الشفهي وسيلة أساسية للدفاع عن الذات والتعبير عن الرأي، وهما عنصران أساسيان في بناء الهوية الشخصية، يرى علماء النفس مثل ألبيرت باندورا، في نظريته عن التعلم الاجتماعي، أن القدرة على التعبير تساعد الأفراد في اكتساب ثقة أكبر بأنفسهم من خلال التفاعل الإيجابي مع الآخرين، الأمر الذي يعزز التوازن النفسي.

3. بناء تقدير الذات والقدرة على التأثير: التعبير الشفهي يعزز لدى الفرد تقدير الذات، لأنه يمنحه شعوراً بالقدرة على التأثير في بيئته الاجتماعية، فمن خلال القدرة على إيصال الأفكار بوضوح والتأثير في المتلقين، يشعر الإنسان بقيمته الذاتية، وهو ما يؤكد عليه علماء مثل كارل روجرز في نظرية العلاج النفسي المرتكز على الذات، حيث يعتبر التعبير عن النفس خطوة ضرورية نحو النمو الشخصي.

4. مواجهة الخجل والانطواء: الخجل والانطواء غالباً ما يرتبطان بصعوبة التعبير عن الذات شفهيًا، ومن هنا، يأتي دور التعبير الشفهي كأداة فعالة في التغلب على هذه الصعوبات النفسية، حيث يُمكن الفرد من التدريب على التواصل، وفتح أبواب الانفتاح الاجتماعي، ويُعزز المهارات الاجتماعية، كما يؤكد ذلك علماء النفس التنمويون مثل إريك إريكسون، الذين يرون أن تطوير المهارات الاجتماعية هو جزء مهم من مرحلة النمو النفسي والاجتماعي.

إن الحرمان من فرص التعبير الشفهي أو إهمال تنمية هذه المهارة يؤدي إلى نتائج سلبية عدة، منها الكبت النفسي الذي قد يتحول إلى مشاكل مثل الاكتئاب أو القلق المزمن، صعوبات في التواصل الاجتماعي، حيث يفقد الفرد القدرة على بناء علاقات إيجابية مع الآخرين، ضعف الثقة بالنفس، مما يعيق قدرة الشخص على التكيف مع المواقف المختلفة داخل المجتمع، زيادة احتمالات الانسحاب والانطواء، مما قد يؤدي إلى عزلة اجتماعية ونفسية.

يمكن القول إن التعبير الشفهي هو جسر حيوي بين الفرد ونفسيته، يساعد على التوازن العاطفي والنفسي، ويُعتبر أداة فعالة لتعزيز الصحة النفسية، لذلك، ينصح علماء النفس وأخصائيو التربية بأهمية

التركيز على تنمية مهارات التعبير الشفهي، خاصة في مراحل الطفولة والمراهقة، لما له من أثر عميق في تكوين شخصية متزنة وقادرة على مواجهة تحديات الحياة بثقة وقوة.

ثانيًا: من المنظور الوجداني

يلعب التعبير الشفهي دورًا محوريًا في حياة الإنسان الوجدانية والعاطفية، إذ يُعتبر الوسيلة الأساسية التي يُعبّر بها الفرد عن مشاعره الداخلية، وينقلها إلى الآخرين بطريقة صادقة وواضحة، ومن خلال هذه العملية، تتعزز أواصر التقارب الإنساني، ويتبلور جو من التعاطف والتفاهم بين الناس، مما يُسهم في بناء علاقات إنسانية متينة ومُرضية.

1. مشاركة المشاعر بصدق ووضوح: التعبير الشفهي يمكّن الإنسان من الكشف عن مشاعره الحقيقية دون حجب أو تزييف، وهو ما يُعد أساسًا للتواصل الصادق. فحين يستطيع الفرد أن يعبر عن فرحه، حزنه، غضبه، أو قلقه بالكلام، فإن ذلك يُقرب الآخرين منه، ويفتح لهم الباب لفهمه والتفاعل معه بشكل إيجابي، هذا النوع من التعبير يُنشئ بيئة نفسية داعمة تُعزز الروابط الاجتماعية وتُبني جسور التعاطف والتسامح.

2. تفرغ الشحنات العاطفية بطريقة صحية: احتواء المشاعر وتفريغها بشكل مناسب يُعدّ من أهم الوظائف النفسية للتعبير الشفهي، فالتحدث عن ما يمر به الإنسان من تجارب عاطفية أو ضغوط نفسية يخفف من أثرها السلبي، ويُساعد على تجاوزها بدلاً من كبتها أو تجاهلها، حيث تؤكد نظريات مثل نظرية التنفيس الانفعالي (Catharsis) أن التعبير العلني عن المشاعر المكبوتة يُقلل من التوتر ويُعيد التوازن العاطفي.

3. تكوين علاقات وجدانية متوازنة: التعبير الشفهي يُساهم في بناء علاقات اجتماعية متينة ومتوازنة من خلال خلق مساحة للحوار المفتوح والصريح بين الأفراد، فالقدرة على التعبير عن المشاعر بوضوح يُسهم في حل النزاعات وفهم الطرف الآخر، مما ينعكس إيجابيًا على استقرار العلاقات الأسرية، الزوجية، والصدقة.

4. تنمية الوعي العاطفي والذكاء الوجداني: من خلال التعبير الشفهي، يكتسب الفرد مهارات هامة في الوعي العاطفي، إذ يصبح أكثر قدرة على التعرف إلى مشاعره، فهمها، وتنظيمها بشكل يساعده على التحكم بها بدلاً من الانجرار وراءها، هذا الوعي هو جزء أساسي من ما يُسمّى بـ"الذكاء العاطفي (Emotional Intelligence)"، الذي حدده عالم النفس دانيال جولمان، والذي يعتبر القدرة على إدارة الذات، التعاطف مع الآخرين، وبناء العلاقات من أهم عناصره.

بالتالي، يُصبح المتحدث القادر على التعبير بوضوح عاطفي أكثر قدرة على قراءة مشاعر الآخرين، والتفاعل معها بحساسية ومهنية، مما يُعمق من جودة التفاعل الاجتماعي، يمكننا القول إن التعبير الشفهي هو جسر التواصل بين النفس ومحيطها، والوسيلة التي من خلالها تتحقق العلاقات الإنسانية الوجدانية السليمة، هو أداة فعالة لتفريغ المشاعر وتنظيمها، ولبناء علاقات قائمة على الصدق والتفاهم، ويُساهم في تنمية الذكاء العاطفي لدى الفرد، مما يعزز قدرته على التفاعل الإيجابي مع ذاته والآخرين في كافة مجالات الحياة.

ثالثاً: من المنظور التربوي

في المجال التربوي، يُعتبر التعبير الشفهي مهارة جوهرية تساهم بشكل كبير في تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية، إذ يُمثل أداة أساسية للتفاعل والتواصل داخل الصف، كما يُعزز من قدرة المتعلم على المشاركة الفعالة في العملية التعليمية، فالتعبير الشفهي لا يقتصر فقط على مهارة لغوية، بل هو عنصر فاعل في تنمية التفكير، وتشكيل شخصية المتعلم، وبناء علاقات اجتماعية صحية داخل البيئة المدرسية.

1. تنمية القدرة على الحوار والنقاش واحترام آراء الآخرين: التعبير الشفهي يُتيح للطلاب فرصاً مستمرة لممارسة الحوار والنقاش، وهما مهارتان أساسيتان في العملية التعليمية الحديثة، عبر النقاشات الشفوية، يتعلم المتعلم كيفية عرض أفكاره بوضوح، والاستماع للآخرين باحترام، واحترام اختلاف وجهات النظر، ما يعزز لديه روح التعاون والتسامح، ويُعدّ مدخلاً هاماً لتنمية المهارات الاجتماعية.

2. تحفيز التفكير النقدي والتحليلي: يُمكن التعبير الشفهي الطلاب من عرض آرائهم وتحليل الأفكار المختلفة بشكل مباشر، ما يشجع على التفكير النقدي والتحليلي، فالحديث أمام الجمهور يُجبر المتعلم على تنظيم أفكاره، دعمها بالحجج، وتنفيذ وجهات النظر المخالفة، وهو ما يثري مستوى التفكير ويطور قدرات الفهم والتحليل.

3. تشجيع التعلم النشط والابتعاد عن التلقي السلبي: عندما يُطلب من الطلاب التعبير شفهيًا، يتحولون من مستمعين سلبيين إلى مشاركين نشطين في الدرس، التعبير الشفهي يشجع المتعلم على المشاركة الفاعلة، ما يزيد من حماسهم وتفاعلهم مع المادة التعليمية، ويساعد على ترسيخ المعلومات بطرق أكثر فعالية.

4. تعزيز الثقة بالنفس والقدرة على الوقوف أمام الجمهور: الممارسة المستمرة للتعبير الشفهي تُساهم في بناء شخصية واثقة، وتكسر حاجز الخوف من التحدث أمام الآخرين، إذ يكتسب المتعلم مهارات التحكم في الصوت، لغة الجسد، وتنظيم الأفكار، ما يُمكنه من التعبير بثقة ووضوح، وهو أمر مهم ليس فقط في البيئة الدراسية، بل في حياته الاجتماعية والمهنية لاحقاً.

نظرًا لأهمية التعبير الشفهي في تنمية مهارات متعددة، ينبغي أن لا يُقتصر تدريبه على حصة اللغة فقط، بل يُدمج في مختلف المواد الدراسية، مثل العلوم، التاريخ، والرياضيات، من خلال تقديم العروض، المناقشات، والأنشطة التفاعلية، هذا التكامل يُنمّي مهارات التعبير لدى الطلاب بشكل شامل، ويُعزز من قدرتهم على استخدام اللغة بفعالية في مختلف المجالات.

في المجال التربوي، يُنظر إلى التعبير الشفهي على أنه: وسيلة للتعلم، وأداة للتفكير، ومنهج لبناء المهارات الحياتية، فهو لا يقتصر على تنمية القدرة على التواصل، بل يُعدُّ مفتاحًا لاكتساب المعارف، وتطوير التفكير النقدي، وتعزيز الثقة بالنفس، وتكريس التعلم النشط والتفاعلي. إن التعبير الشفهي هو أداة تعليمية حيوية تُثري العملية التربوية، وتُساهم في بناء شخصية متكاملة لدى المتعلم، من خلال تطوير مهارات الحوار، التفكير النقدي، والمشاركة النشطة، يُصبح المتعلم قادرًا على مواجهة تحديات التعلم والحياة بثقة وكفاءة، ولهذا، فإن تشجيع التعبير الشفهي وتنميته داخل الصف يمثل استثمارًا فعالًا في مستقبل الطلبة.

رابعًا: من المنظور المعرفي

لا يقتصر دور التعبير الشفهي على كونه وسيلة تواصل فقط، بل هو أيضًا أداة معرفية أساسية تساعد الفرد على بناء المعرفة وتنظيمها واستيعابها بعمق، فالمتكلم لا يكتفي بنقل ما تعلمه، بل يقوم بإعادة تشكيله بلغته الخاصة، مما يعزز من فهمه ويجعل المعرفة أكثر رسوخًا واستدامة.

1. ربط المفاهيم واستيعابها من خلال الشرح والتبسيط: عندما يُكلّف المتعلم بشرح فكرة أو تقديم عرض شفهي، فإنه يُضطر إلى التفكير في العلاقات بين المفاهيم وربطها، وتقديمها بطريقة مفهومة للآخرين، وهذه العملية تُحفّز قدراته على إعادة تنظيم المعلومات، ما يسهم في فهمها بشكل أعمق، ويُجنّب الحفظ السطحي أو الميكانيكي.

2. ترتيب الأفكار والتمييز بين المهم والثانوي: التعبير الشفهي يفرض على المتكلم أن يُميّز بين ما هو أساسي في الموضوع وما هو تفصيلي أو داعم، وهو ما يساعده على تنظيم معرفته بشكل هرمي أو منطقي، والانتقال من العام إلى الخاص أو العكس، بحسب السياق، هذه القدرة على التصنيف والتبويب تُعد من أساسيات التفكير الأكاديمي السليم.

3. بناء التفكير المنطقي من خلال الأسئلة والتحليل: من خلال طرح الأسئلة والإجابة عنها، وتحليل المواقف أثناء النقاشات الصفية أو العروض الشفوية، يتدرب المتعلم على بناء تفكير منطقي سليم، فهو لا

يُلقى معلومات عشوائية، بل يتعلّم بناء الحجج، دعمها بالأمثلة، والتسلسل في عرض الأفكار، وهي مهارات معرفية عالية تتعكس على أدائه في جميع المواد الدراسية.

4. تطوير مهارات التأمل والتفسير والتخطيط: التعبير الشفهي الجيد لا يتم إلا بعد تأمل المعطيات وفهمها وتفسيرها، ثم تخطيط عرضها بطريقة مقنعة ومنظمة، هذه المهارات الذهنية تتطلب مجهودًا معرفيًا متكاملًا، وهو ما يعزز من قدرة الطالب على التفكير بعمق، لا مجرد تكرار ما حفظه.

الفرد عندما يُعبّر شفهيًا، لا يكتفي باسترجاع المعلومة، بل يُعيد إنتاجها بأسلوبه الخاص، ويُضيف إليها من فهمه وخبرته وسياقه الشخصي، مما يجعل من التعبير الشفهي فعلًا معرفيًا مُبدعًا، وهو ما يجعل المعرفة الناتجة عن التعبير الشفهي أكثر تفاعلًا وارتباطًا بتجربة المتعلم، وبالتالي أكثر رسوخًا واستمراريًا.

إن التعبير الشفهي ليس مجرد مهارة لغوية أو تواصلية، بل هو أداة فعالة في تكوين المعرفة وتنمية التفكير، إنه يُكسب المتعلم مهارات التحليل، الربط، التفسير، وإعادة البناء، مما يجعله شريكًا فاعلًا في إنتاج المعنى لا مجرد متلقٍ للمعلومة، لذا، فإن توظيف التعبير الشفهي داخل العملية التعليمية يُعد خيارًا تربويًا ذكيًا يعزز من جودة التعلم وفاعليته.

خامسًا: من المنظور المنهجي

من منظور منهجي، يُنظر إلى التعبير الشفهي على أنه عنصر محوري في العملية التعليمية، وليس مجرد مهارة لغوية ثانوية، إنه يمثل وسيلة تعليمية وتربوية فعّالة، تُمكن المعلم والمتعلم معًا من التفاعل الدينامي داخل الفصل، وتخدم أهدافًا تعليمية وتكوينية متعدّدة.

1. أداة لتقويم الأداء اللغوي والتواصلية: التعبير الشفهي يُستخدم كوسيلة مباشرة لتقويم سلامة اللغة من حيث النطق، التراكيب، وتوظيف المفردات، القدرة التواصلية من حيث الوضوح، التفاعل، والتأثير، تمكّن المتعلم من عرض أفكاره بطريقة مترابطة ومقنعة، وهذا النوع من التقويم يسمح برصد الأداء في الوقت الحقيقي، ويكشف عن مدى تحكّم المتعلم في أدوات اللغة والفكر.

2. يُستخدم في أنشطة صفية حيوية ومتنوعة: التعبير الشفهي يُفعل عبر عدة أشكال داخل الصف، منها العروض التقديمية الفردية أو الجماعية، المناظرات الصفية، المناقشات المفتوحة والموجهة، الأنشطة الحوارية مثل لعب الأدوار وتمثيل المواقف، هذه الأشكال تجعل من المتعلم فاعلًا ومتحدثًا ومحللاً، وليس فقط متلقيًا.

3. يدعم الكفايات التواصلية المنصوص عليها في المناهج الحديثة: المناهج التربوية المعاصرة تركز على تنمية الكفايات اللغوية (النحو، الصرف، المعجم)، الكفايات الخطابية (تنظيم الخطاب، الإقناع، التأثير)، الكفايات التداولية (الحديث بحسب السياق، تكييف اللغة حسب الموقف)، الكفايات الاجتماعية (التفاعل، الاحترام، الإنصات، النقد البناء)، التعبير الشفهي يُعد مدخلاً طبيعياً لتكامل هذه الكفايات وتفعيلها بشكل عملي.

4. يُدمج مهارات متعددة في وقت واحد: عند ممارسة التعبير الشفهي، يُفعل المتعلم مهارات عليا مثل الاستماع النشط، الفهم والتحليل، الرد والتعليق، التنظيم المنطقي للأفكار، التفاعل مع الآخر (سؤال/جواب - نقد/دعم)، كل هذه المهارات تُمارس بتكامل، مما يجعل من التعبير الشفهي نشاطاً معرفياً متكاملًا لا يقتصر على الكلام فقط.

5. أداة فاعلة بيد المعلم لرصد الفهم وبناء التعلّم: من خلال مراقبة تعبير المتعلم، يمكن للمعلم تقييم مدى فهمه للدرس، التعرف على طريقتة في التفكير، الكشف عن أخطاء لغوية أو مفاهيمية، ملاحظة تطور المتعلم في بناء الحجة وتنظيم الأفكار، التعبير الشفهي يتحول من مجرد "نشاط شفهي" إلى وسيلة تشخيص دقيقة وذات طابع تكويني.

من المنظور المنهجي، يُعد التعبير الشفهي مكوناً أساسياً من مكونات العملية التعليمية، إذ يجمع بين التعلّم والتقويم، ويعكس مدى تحقق الكفايات التواصلية والفكرية لدى المتعلم، إنه نشاط تعليمي غني، يعكس الفهم، ويُنمي التفكير، ويسهم في بناء شخصية المتعلم المتحدث والمفكر والمبدع.

سادساً: من المنظور الإبداعي

لا يقتصر التعبير الشفهي على الجانب التقريري أو نقل المعلومات والمعارف فحسب، بل يتجاوز ذلك ليشكّل مجالاً خصباً للإبداع الفني والتعبير الجمالي، فهو يمكّن الفرد من استثمار طاقاته اللغوية والتخيلية لإنتاج خطاب يتسم بالتميز والأسلوب الشخصي، وفي هذا السياق، يبرز التعبير الشفهي كمنصة حيّة يُفعل فيها المتعلم أدواته البلاغية، ويُجسد بها عوالمه الداخلية، من خلال:

1. **توظيف الخيال والابتكار:** إذ يستطيع المتحدث أن يُفعل خياله في تصوير المواقف والأحداث، مما يضفي على خطابه بعداً فنياً يتجاوز حدود المعنى المباشر، فالصورة البلاغية، والتشبيه، والاستعارة، والمحسنات اللفظية والمعنوية، تتحول إلى أدوات فاعلة في يد المتحدث المبدع.

2. **الإبداع في فنون القول:** التعبير الشفهي يُعد أداة رئيسية في إحياء الأنواع الأدبية الشفوية مثل الحكايات الشعبية، والقصص، والملاحم، والشعر المرتجل، والخطب التحفيزية، وتمنح هذه الفنون المتعلم الفرصة للتمرّن على الإلقاء والتشخيص والتأثير في المتلقي، ما يعزز حضوره الخطابي وثقته بنفسه.

3. **التعبير الذاتي عبر الصوت والجسد:** لا ينحصر التعبير الإبداعي في الكلمات فحسب، بل يشمل نبرة الصوت، وتنوّع الإيقاع، وحركات الجسد، وتعبيرات الوجه، وكلها عناصر تساهم في تشكيل أسلوب خاص وفريد لكل متحدث، مما يمنح للتواصل الشفهي بعدًا أدائيًا وجماليًا.

4. **مساحة للتفرد والتجديد:** التعبير الشفهي يُحرر المتعلم من قيود النماذج الجاهزة، ويشجّعه على إنتاج مضامين نابغة من ذاته، تعبّر عن رؤيته الخاصة للعالم، وبهذا، يتحول من مجرد مستهلك للغة إلى منتج لها، مشارك في تطويرها، ومبتكر في استخدامها.

ومن ثمّ، فإنّ التعبير الشفهي، من منظور إبداعي، لا يُعد مجرد مهارة تواصلية، بل هو أفق مفتوح يربط بين اللغة والفن، بين الذات والعالم، ويجعل من المتعلم فاعلاً لغويًا وجماليًا في آنٍ واحد.

الخاتمة:

إنّ التعبير الشفهي ليس مجرد أداة لغوية تُستخدم لنقل الأفكار والمعلومات، بل هو مهارة مركّبة تتداخل فيها الأبعاد النفسية، الوجدانية، التربوية، المعرفية، المنهجية، والإبداعية، ومن هذا المنطلق، فإنّ تنميته لدى المتعلم ينبغي أن تنصدر أولويات أي منظومة تعليمية تسعى إلى بناء شخصية متوازنة، متعلم واثق بذاته، مواطن فاعل في مجتمعه، ومفكر مبدع في رؤاه وتعبيراته.

فمتى ما أُعطي التعبير الشفهي المكانة التي يستحقها داخل الصف وخارجه، تحوّل التعليم من مجرد عملية تلقين ونقل للمعارف إلى تجربة تواصل حقيقية، تُحفّز المتعلم على المشاركة، وتفتح له آفاقًا أرحب للتعبير عن ذاته والتفاعل مع العالم من حوله.